

أحكام القرآن

أنها لكم في هذه القصة ضروب من دلائل النبوة أحدها إخباره إياهم بأن إحدى الطائفتين لهم وهي غير قريش التي كانت فيها أموالهم وجيشهم الذين خرجوا لحمايتها فكان وعده على ما وعده قوله تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني أن المؤمنين كانوا يودون الظرف لما فيها الأموال وقلة المقاتلة وذلك لأنهم خرجن غير مستعدين للحرب لأنهم لم يطنووا أن قريشا تخرج لقتالهم قوله تعالى ويريد أَن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وهو إنجاز موعده لهم في قطع دابر الكافرين وقتلهم قوله تعالى فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله أَنْ إِلَّا بشرى ولتطمئن به قلوبكم فوجد مخبر هذه الأخبار على ما أخبر به فكان من طمأنينة قلوب المؤمنين ما أخبر به وقال تعالى إِذ يغشيم النعاس أمنة منه فألقى عليهم النعاس في الوقت الذي يطير فيه النعاس بإطلاق العدو عليهم بالعدة والسلاح وهم أضعافهم ثم قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الجناية لأن فيهم من كان احتلم وهو حرز الشيطان لأنه من وسوسته في المنام وليربط على قلوبكم بما صار في قلوبهم من الأمانة والثقة بموعود أَنْ ويثبت به الأقدام يتحمل من وجهين أحدهما صحة البصيرة والأمن والثقة الموجبة لثبات الأقدام والثاني أن موضعهم كان رملاً دهساً لا ثبت فيه الأقدام فأنزل أَنْ تعالى من المطر ما لبد الرمل وثبت عليه الأقدام وقد روى ذلك في التفسير قوله تعالى إِذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم أي أنصركم فثبتوا الذين آمنوا بذلك يتحمل وجهين أحدهما إلقاءهم إلى المؤمنين بالحاطر والتنبيه أن أَنْ سينصرهم على الكافرين فيكون ذلك سبباً لثباتهم وتحزبهم على الكفار ويتحمل أن يكون التثبيت بإخبار النبي ص - أن أَنْ سينصره والمؤمنين فيخبر النبي ص - بذلك المؤمنين فيدعوهم ذلك إلى الثبات ثم قال وما رميته إذ رميت ولكن أَنْ رمى وذلك أن النبي ص - أخذ كفا من تراب ورمى به وجوههم فانهزموا ولم يبق منهم أحد إلا دخل من ذلك التراب في عينه يعني بذلك أن أَنْ بلغ ذلك التراب وجوههم وعيونهم إذ لم يكن في وسع أحد من المخلوقين أن يبلغ ذلك التراب عيونهم من الموضع الذي كان فيه النبي ص - وهذه كلها من دلالة النبوة ومنها وجود مخبرات هذه الأخبار على ما أخبر به فلا يجوز أن يتافق مثلها تخرصاً وتخميناً ومنها ما أنزل من المطر الذي لبد الرمل حتى